تفسير إبن كثير

فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ

وقوله تعالى : (فجعلناها نكالا لما بين يديها وما خلفها وموعظة للمتقين) قال بعضهم : الضمير في) فجعلناها) عائد على القردة ، وقيل : على الحيتان ، وقيل : على العقوبة ، وقيل : على القرية ؛ حكاها ابن جرير .والصحيح أن الضمير عائد على القرية ، أي : فجعل االله هذه القرية ، والمراد أهلها بسبب اعتدائهم في سبتهم) نكالا) أي : عاقبناهم عقوبة ، فجعلناها . عبرة ، كما قال االله عن فرعون : (فأخذه االله نكال الآخرة والأولى) [النازعات : 25] .وقوله : (لما بين يديها وما خلفها) أي من القرى . قال ابن عباس : يعني جعلناها بما أحللنا بها من العقوبة عبرة لما حولها من القرى . كما قال تعالى : (ولقد أهلكنا ما حولكم من القرى وصرفنا الآيات لعلهم يرجعون) [الأحقاف : 27] ، ومنه قوله تعالى : (أولم يروا أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها) الآية [الرعد : 41] ، على أحد الأقوال ، فالمراد : لما بين يديها وما خلفها في المكان ، كما قال محمد بن إسحاق ، عن داود بن الحصين ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : لما بين يديها من القرى

وما خلفها من القرى . وكذا قال سعيد بن جبير (لما بين يديها وما خلفها) [قال] من بحضرتها من الناس يومئذ .وروي عن إسماعيل بن أبي خالد ، وقتادة ، وعطية العوفي : (فجعلناها نكالا لما بين يديها) [وما خلفها]) قال : ما [كان] قبلها من الماضين في شأن السبت .وقال أبو العالية والربيع وعطية : (وما خلفها) لما بقي بعدهم من الناس من بني إسرائيل أن يعملوا مثل عملهم .وكان هؤلاء يقولون : المراد بما بين يديها وما خلفها في الزمان .وهذا مستقيم بالنسبة إلى من يأتي بعدهم من الناس أن يكون أهل تلك القرية عبرة لهم ، وأما بالنسبة إلى من سلف قبلهم من الناس فكيف يصح هذا الكلام أن تفسر الآية به وهو أن يكون عبرة لمن سبقهم ؟ هذا لعل أحدا من الناس لا يقوله بعد تصوره ، فتعين أن المراد بما بين يديها وما خلفها في المكان ، وهو ما حولها من القرى ؛ كما قاله ابن عباس وسعيد بن جبير ، واالله أعلم .وقال أبو جعفر الرازي ، عن الربيع عن أبي العالية : (فجعلناها نكالا لما بين يديها) أي : عقوبة لما خلا من ذنوبهم .وقال ابن أبي حاتم وروي عن عكرمة ، ومجاهد ، والسدي ، والحسن ، وقتادة ، والربيع بن أنس ، نحو ذلك .وحكى القرطبي ، عن ابن عباس والسدي ، والفراء ، وابن عطية (لما بين يديها)

بين ذنوب القوم (وما خلفها) لمن يعمل بعدها مثل تلك الذنوب ، وحكى فخر الدين ثلاثة أقوال :أحدها : أن المراد بما بين يديها وما خلفها : من تقدمها من القرى ، بما عندهم من العلم بخبرها ، بالكتب المتقدمة ومن بعدها .الثاني : المراد بذلك من بحضرتها من القرى والأمم .والثالث : أنه جعلها تعالى عقوبة لجميع ما ارتكبوه من قبل هذا الفعل وما بعده ، قال : وهذا قول الحسن . قلت : وأرجح الأقوال أن المراد بما بين يديها وما خلفها : من بحضرتها من القرى التي يبلغهم خبرها ، وما حل بها ، كما قال : (ولقد أهلكنا ما حولكم من القرى وصرفنا الآيات لعلهم يرجعون) [الأحقاف : 27] وقال تعالى : (ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة أو تحل قريبا من دارهم) [الرعد : 31] ، وقال (أفلا يرون أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها) [الأنبياء : 44] ، فجعلهم عبرة ونكالا لمن في زمانهم ، وعبرة لمن يأتي بعدهم بالخبر المتواتر عنهم ، ولهذا قال : (وموعظة للمتقين)وقوله تعالى : (وموعظة للمتقين) قال محمد بن إسحاق ، عن داود بن الحصين ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : (وموعظة للمتقين) الذين من بعدهم إلى يوم القيامة .وقال الحسن وقتادة : (وموعظة للمتقين) بعدهم ، فيتقون نقمة الله ، ويحذرونها .وقال

السدي ، وعطية العوفي : (وموعظة للمتقين) قال : أمة محمد صلى االله عليه وسلم .قلت : المراد بالموعظة هاهنا الزاجر ، أي : جعلنا ما أحللنا بهؤلاء من البأس والنكال في مقابلة ما ارتكبوه من محارم االله ، وما تحيلوا به من الحيل ، فليحذر المتقون صنيعهم لئلا يصيبهم ما أصابهم ، كما قال الإمام أبو عبد االله بن بطة : حدثنا أحمد بن محمد بن مسلم ، حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح الزعفراني ، حدثنا يزيد بن هارون ، حدثنا محمد بن عمرو [عن أبي سلمة] عن أبي هريرة : أن رسول االله صلى االله عليه وسلم قال : لا ترتكبوا ما ارتكب اليهود ، فتستحلوا محارم االله بأدنى الحيل .وهذا إسناد جيد ، وأحمد بن محمد بن مسلم هذا وثقه الحافظ أبو بكر الخطيب البغدادي ، وباقي رجاله مشهورون على شرط الصحيح . واالله أعلم .